مجلة دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية
الرقم المعياري الدولي للدوريات (ISSN): 2663-7197
معرف الوثيقة الرقمي (DOI): 10.32996/jhsss
الموقع الإلكتروني للمجلة: www.al-kindipublisher.com/index.php/jhsss

المنهج الذاتي في كتابة السيرة النبوية: دراسة نقدية

الدكتور أحمد إسماعيل عبده السليمان

جامعة العلوم الإسلامية العالمية، عمان، الأردن

تاريخ استلام البحث: ٣٠ ايلول ٢٠٢٦ **تاريخ نشر البحث:** ٣٠ تشرين الأول ٢٠٢٦ **المجلد:** ٨ **العدد:** ١١

الملخص بالعربية

يخلص البحث إلى أن المنهج الذاتي في كتابة السيرة النبوية يمثل انحرافاً عن مقتضيات المنهج العلمي في دراسة السيرة، لما يقوم عليه من تغليب التصورات الشخصية والمواقف الفكرية للكاتب على الروايات والمصادر المعتبرة، الأمر الذي قد يؤدي إلى تحريف دلالات الأحداث وإعادة تفسيرها بما يوافق توجهات الكاتب وأفكاره. وقد ظهر أثر هذا المنهج في عدد من الكتابات الحديثة التي تعاملت مع السيرة النبوية من منطلقات فكرية أو أدبية أو فلسفية لا تنسجم مع طبيعة السيرة ومصادرها. ويؤكد البحث ضرورة الحذر من هذا المنهج وآثاره في كتابة السيرة النبوية، ووجوب إخضاع الروايات والأحداث لقواعد النقد العلمي، والرجوع إلى المصادر الموثوقة، وعدم تحميل النصوص ما لا تحتمله من معان أو إسقاط التصورات الحديثة عليها. كما يبين أن دراسة السيرة النبوية تقتضي منهجًا موضوعيًا منضبطاً يجمع بين صحة الرواية وسلامة الفهم، ويحافظ على خصوصية السيرة ومكانتها في التراث الإسلامي. وبناءً على ذلك، فإن المنهج الذاتي لا ينبغي أن يكون أساسًا في كتابة السيرة النبوية، بل ينبغي الكشف عن مظاهره ونقد آثاره، لما قد يترتب عليه من تشويه صورة السيرة أو صرف أحداثها عن دلالاتها الصحيحة. ومن ثم فإن المنهج الأمثل في كتابة السيرة هو المنهج النقدي الموضوعي القائم على التثبت من الروايات، وفهمها في سياقها، ومراعاة أصول البحث العلمي، مع رفض التحيزات والتصورات المسبقة التي تؤثر في نقل أحداث السيرة وتحليلها.

الكلمات المفتاحية:

المنهج الذاتي، النقد، السيرة النبوية

The subjective approach in writing the Prophetic biography: A critical study

Dr. Ahmed Ismail Abdo Al-Sulaiman

Assistant Professor, College of the Prophetic Sunnah, Islamic University of Minnesota

Corresponding Author: Dr. Ahmed Ismail Abdo Al-Sulaiman**, E-mail:** ahmadalsulaiman1@hotmail.com

Abstract in English

The study concludes that the subjective approach to writing the Prophetic biography (Sīrah) constitutes a departure from the requirements of a scientific methodology in studying the Sīrah, as it is based on giving precedence to the writer's personal perceptions and intellectual positions over authoritative narrations and reliable sources. This may lead to distorting the meanings of historical events and reinterpreting them in ways that conform to the writer's orientations and ideas. The influence of this approach has become evident in a number of modern writings that have addressed the Prophetic biography from intellectual, literary, or philosophical perspectives that are inconsistent with the nature of the Sīrah and its sources. The study emphasizes the need to exercise caution regarding this approach and its effects on writing the Prophetic biography, and the necessity of subjecting narrations and events to the principles of scholarly criticism, referring to reliable sources, and refraining from imposing meanings on texts that they cannot support or projecting modern perceptions onto them. It also demonstrates that the study of the Prophetic biography requires an objective and disciplined methodology that combines the authenticity of narration with sound understanding, while preserving the distinctiveness and status of the Sīrah within the Islamic intellectual heritage. Accordingly, the subjective approach should not serve as the basis for writing the Prophetic biography. Rather, its manifestations should be identified and its effects critically examined, given the potential consequences of distorting the image of the Sīrah or diverting its events from their proper meanings. Therefore, the most appropriate methodology for writing the Prophetic biography is a critical and objective approach based on verifying narrations, understanding them within their historical context, adhering to the principles of scholarly research, and rejecting biases and preconceived notions that may affect the transmission and analysis of events from the Sīrah.

Keywords

The Subjective Approach, Criticism, The Prophetic Biography

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، خالق الإنسان، مبدع الأكوان، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، علّم بالقلم، علّم الإنسان ما لم يعلم، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أوتي جوامع الكلم وفصل الخطاب صلى الله عليه وعلى آله وصحبه والتابعين، والذين تبعوهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

وبعد:

فإن رسول الله ρ مناط الاتباع، والسير على هداه هدف كل من انتسب إلى الشرع الشريف في كل عصر من العصور ومن أجل ذلك انبرى علماء الأمة لتدوين كل صغيرة وكبيرة وردت عنه ρمن قول أو فعل أو تقرير أو صفة خلقية أو خلقية، حتى لا يفوت شيء منها على من أراد أن يقتدي برسول الله .ρ

ولقد تباينت واختلفت جهود العلماء في التصنيف والتأليف في سيرة رسول اللهρ ، فمنهم من جمع الحديث والسيرة، ومنهم من شرحها، ومنهم من ميز الصحيح من السقيم، ومنهم من استنبط أحكام الفقه والأصول.

وَوُجد من اندس بين العلماء بغية التحريف في سيرة رسول الله ρ، فكان علماء الأمة لتحريفهم ودسهم بالمرصاد فبينوا أغراضهم وأهواءهم.

ولقد كثر التحريف والزيادة في سيرة رسول الله ρ في هذا العصر، وكذلك التفسيرات المغلوطة لكثير من وقائع السيرة بقصد وبغير قصد، لكن الله كتب لدينه الحفظ والرعاية وحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وسيرته المتعلقة بالدين جزء من هذا الدين.

أهمية الدراسة

تكمن أهمية الدراسة فيما يأتي:

1- المشاركة في الدفاع عن سيرة رسول الله ρ من تحريف المحرفين وشبهات المغرضين وطعن الطاعنين.
2- الوقوف على نماذج من الذين قدموا السيرة النبوية بمنهج ذاتي متأثرين بالمستشرقين.
3- بيان مفهوم المنهج الذاتي في كتابة السيرة النبوية.
4- الكشف عن مدى اعتناء المستشرقين ومن تبعهم ممن ينتسبون إلى الإسلام بالسيرة النبوية، ومقاصدهم في ذلك.
5- بيان موقف أصحاب المنهج الذاتي من المعجزات والغيبيات والوحي وغيرها من أحداث السيرة العطرة.

مشكلة الدراسة

تبرز مشكلة الدراسة من خلال الإجابة عن السؤالين الرئيسين الآتيين:

1- ما تأثير المنهج الذاتي في كتابة السيرة النبوية؟
2- ما هي مناهج كتاب السيرة النبوية على طريقة المنهج الذاتي؟

ويتفرع عن هذين السؤالين الأسئلة الآتية:

1- ما مفهوم المنهج الذاتي؟ ومن أبرز أعلام هذا المنهج؟
2- ما الأسباب الحاملة لكتابة السيرة النبوية بهذا المنهج؟
3- ما خطورة هذا المنهج؟
4- مدى تأثرهم بالفكر الاستشراقي في كتابة السيرة النبوية؟
6- وما المواقف والقضايا التي أخذت عليهم في كتاباتهم لسيرة رسول الله ρ؟

أهداف الدراسة

تركز هذه الدراسة على بيان حقيقة مفهوم المنهج الذاتي في كتابة السيرة النبوية، وأثرها في بيان حقائق ومسلمات السيرة النبوية، والوقوف على أبرز من تأثر بهم محمد حسين هيكل من المستشرقين كأنموذج، والكشف عن الأسباب الحاملة لهذه المدرسة على تحريف بعض أحداث السيرة النبوية، وفهمها على غير حقيقتها، وكذلك التطبيقات العملية التي تعد تحريفا صريحا في مجريات السيرة النبوية، وبيان نشأة هذه المدرسة وأبرز أعلامها ومدى تأثيرها في العالم الإسلامي.

حدود الدراسة

1- تركز هذه الدراسة على الكشف عن حقيقة المدرسة الذاتية في كتابة السيرة النبوية.
2- كتب المدرسة الذاتية بشكل عام، ككتاب "حياة محمد" لمحمد حسين هيكل، وكتاب الشرقاوي، وغيرهم.

منهجية الدراسة

لكل دراسة منهج خاص يتوافق مع طبيعته ومقاصده وأهدافه وما يرجى منه، وان طبيعة هذا البحث ومقاصده وأهدافه تحتم علي استخدام منهج علمي هو:

المنهج التحليلي: ويقوم باستقراء لجملة من كتب المنهج الذاتي في كتابة السيرة النبوية ككتاب حياة محمد، والعقاد في "عبقرية محمد" والشرقاوي في كتاب "محمد رسول البشرية" للوقوف على المنهج الدقيق لأصحاب هذه الكتب ومنهجية المدرسة الذاتية وبيان حجم الانحراف في الفهم لكثير من أحداث السيرة النبوية مع بيان الأصول التي أخذوها واستفادوا منها.

الدراسات السابقة

اطلعت على جملة من كتب وأعلام هذا المنهج إلا أنني لم أجد من قام بالكتابة، أو الرد بشكل شمولي على هذه الأفكار والانحرافات، وبيان الموقف الصحيح الموافق للشرع من هذه الأخطاء.

ومن الذين أشاروا إلى ذلك:

-1 الدكتور فاروق حمادة في كتابه)مصادر السيرة النبوية وتقويمها)، والذي عرض فيه لأهم مصادر السيرة النبوية في مختلف العصور حتى وصل إلى العصر الحالي، واختار مجموعة من الكتب من بينها كتاب حياة محمد لمحمد حسين هيكل، وقال الدكتور فاروق) إن كل سطر قابل للنقض(ومن أول الكتاب إلى نصفه كان منهجه كأي مستشرق إلى غير ذلك مما عرض له بإيجاز بحدود سبع صفحات.

-2 الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي-رحمه الله- في كتابه (فقه السيرة) فقد تحدث بإيجاز عن كتابة السيرة النبوية من خلال المنهج الذاتي وبين خطورة هذا المنهج وتحدث عن أعلامه وخصوصا محمد حسين هيكل وكتابه (حياة محمد) وبين بعض ما فيه من أخطاء.

-3 الشيخ عبدالله القصيمي في كُتيب صغير بحدود ستين صفحة، بعنوان "نقد كتاب حياة محمد " وكان هذا الكتاب مجموعة من المقالات، نُشرت في جريدة الكوكب، ثم جمعها في كتاب مستقل، وقد أتى فيه على جملة من الأفكار والانحرافات الواضحة، ورد عليها بالأدلة القرآنية والعقلية، وذكر عددا من الانحرافات التي لا توجد في الكتاب المطبوع الذي وقفت عليه.

مخطط البحث

اشتمل البحث على أدبيات وثلاثة مباحث وفق الآتي:

مقدمة

مشكلة البحث

أهمية البحث

منهجية البحث

حدود البحث

الدراسات السابقة

العوامل التي أسهمت في نشوء المنهج الذاتي في كتابة السيرة النبوية، والآثار المترتبة على ذلك، وفيه تمهيد وثلاثة مباحث.

التمهيد: تعريف المنهج الذاتي في كتابة السيرة النبوية.

المبحث الأول: ضعف البناء الديني في شخصية كُتّاب السيرة على المنهج الذاتي.

المبحث الثاني: أثر ظهور وانتشار العلمانية والشيوعية في نشوء المنهج الذاتي في كتابة السيرة النبوية.

المبحث الثالث: دور الإستشراق والمستشرقون في نشوء المنهج الذاتي في كتابة السيرة النبوية.

الخاتمة

التوصيات

المصادر والمراجع

تمهيد: تعريف المنهج الذاتي في كتابة السيرة النبوية

لم يكن المنهج الذاتي في كتابة السيرة النبوية مصطلحاً معروفاً عند العلماء قديماً إلاّ في فترة ليست بالبعيدة، ولعل من أوائل من أشار إليه الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي –رحمه الله- في كتابه "فقه السيرة"، وأطلقه على الذين يكتبون السيرة النبوية دون اعتبار نقد الأسانيد وأهميتها، وإعمال قواعد المحدثين وشروطهم.

ووصفه الدكتور البوطي في كتابه فقال: (ولا يرى أقطاب هذا المذهب من ضير في أن يقحم المؤرخ نزعته الذاتية أو اتجاهه الفكري والديني أو السياسي. في تفسير الأحداث وتعليلها والحكم على إبطالها. بل إنهم يرون أن هذا هو واجب المؤرخ. لا مجرد رصف الأخبار وتجميع الوقائع العارية)[1].

وتحدث عنه الأستاذ أنور الجندي فقال: (فطه حسين تابع لمذهب العلوم الاجتماعي، والعقاد تابع لمذهب العلوم النفسية، وهيكل تابع لمذهب تين وبرونتير.. الخ، وهذا الأسلوب الذاتي خطيرٌ جداً لأنه لا يقوم على قواعد أساسية علمية وإنما يقوم على أساس (الظن وما تهوى الأنفس) هذا الأسلوب يتيح لأصحابه أن يقبلوا وقائعَ وأحداثاً، وأن يغضوا عن غيرها ما يختلف مع وجهتهم المسبقة، من هنا كان خطورة هذا المذهب في استبعاد ما يخالف المألوف مما يدخل في باب المعجزات والغيبيات في سيرة النبي [2](ρ

فيشير الأستاذ أنور إلى أنّ كتابة السيرة النبوية على طريقة الأسلوب الذاتي التابع لمناهج الغرب التي لا تقوم على أسس علمية، وإنما تقوم على أساس الظن وهوى النفس وتستبعد المعجزات والغيبيات من سيرة النبي صلى الله عليه وسلم، وهذا خطر على سيرة رسول الله .ρ

ويشير كذلك إلى نقطة في غاية الأهمية وهي اعتبار الكتابة على هذه الطريقة مذهباً مستقلاً وهو ما أسماه المذهب الذاتي.

واستنتج سعدون الساموك من وصف البوطي تعريفاً للمنهج الذاتي فقال:

وهو المنهج الذي يقحم المؤرخ فيه نزعته الذاتية أو اتجاهه الفكري والديني، في تفسير الأحداث وتعليلها والحكم على إبطالها.[3]

ولكن هذا التعريف عام يفتقر إلى أهم العناصر وهو ذكر السيرة النبوية وان كان قد أشار إليها بقوله (الأحداث) لكنها عامةٌ تحتاج إلى تخصيص.

ومن خلال إطلاعي على كتب هذه المدرسة وأقوال بعض أهل العلم، يمكنني أن أستنتج تعريفاً للمنهج الذاتي في كتابة السيرة النبوية فأقول هو:

[1] محمد سعيد رمضان البوطي فقه السيرة، دار الفكر – دمشق، الطبعة: الخامسة والعشرون - ١٤٢٦ هـ، ص24.
[2] أنور الجندي تقديم ما قدمه الرواد، وقراءة جديدة لكتابات الشوامخ ط دار الاعتصام 1989م . ص3
[3] الساموك، سعدون محمود (معاصر)، السيرة النبوية، دار وائل، عمان: 2004 ص27

كتابة سيرة رسول الله ρ بالاستنتاج والرغبة الشخصية، والرضا النفسي، والميول إلى التوسم بالخبر.[4]

المبحث الأول: ضعف البناء الديني في شخصية كُتّاب السيرة على المنهج الذاتي.

إنّ الاختصاص في علوم الشريعة في كافة مجالاتها العلمية سواء في الفقه أو علومها أو العقيدة أو التفسير أو علومه أو الحديث أو علومه أو السيرة النبوية تجعل من الشخص الذي اختص بها ملما بالأصول الأولية لعلوم الشريعة، فهناك قواسم مشتركة في هذا العلم من إخلاص النية لله سبحانه وتعالى، والأمانة العلمية، وإجلال هذا العلم، والمحافظة على أصوله.

فقد امتاز علماء الأمة سابقاً بالموسوعية والتخصص في كل علم من علوم الشريعة، فتجد أحدهم مفسراً وفقيهاً ومحدثاً وأصولياً ونحوياً وغيرها من أنواع العلوم، التي تجعل منه أنموذجا في هذه العلوم.

فمثلا الإمام ابن كثير مصنف السيرة النبوية الذي أجاد في تصنيفها وحقق ودقق في جزئيتها وسار فيها على طريقة المحدثين في قبول الأخبار مما زاد في الثقة من الخبر المسرود عن أصحاب السير، هذا الإمام كان موسوعياً عالماً بكل أصول وفروع الشرع الشريف، والسبب في ذلك قوة البناء العلمي الذي حصله وهو في سن مبكرة فبعد أن توفي والده وهو في سن الرابعة رباه أحد المشايخ في دمشق ،وأخذ ينهل من علوم الفقه والحديث والتفسير، وتتلمذ على أيدي كبار العلماء في زمانه مثل ابن عساكر (499هـ - 571 هـ) والمزي {654 هـ- 742) وابن تيمية (661 هـ-726) والذهبي (673 هـ - 748 هـ)، وغيرهم من علماء زمانه ثم تولى مشيخة أم صالح بعد شمس الدين الذهبي.[56]

إذن البناء العلمي الذي تلقاه في صغره وتربى عليه من تعظيم الشريعة وكل ما ورد عن رسول الله ρ جعل تصنيفه في السيرة النبوية أنموذجا لكل من أراد أن يصنف في سيرة رسول الله- ρ- فلم ينكر معجزة وردت بحديث صحيح ولم يفسر تفسيرا غريبا لأي حدث من أحداث السيرة النبوية.

وحين تأتي إلى كتاب السيرة النبوية الذين كتبوا على طريقة المنهج الذاتي تجد أنّ البناء العلمي الشرعي عندهم ضعيف جداً لا بل لا تجد إلاّ ما ندر أن احدهم متخصص بعلم شرعي يؤهله أن يكتب في سيرة رسول الله .ρ

فالدكتور محمد حسين هيكل متخصص بالقانون والمحاماة، وحين أراد أن يكتب في سيرة رسول الله ρ جمع عدداً من الكتب الشرعية لكي يؤلف في السيرة النبوية، منها ما استعاره من بعض أصحابه مثل صحيح مسلم وتاريخ مكة، ووقف على كثير من كتب المستشرقين لتكون من مصادره التي يعتمد عليها.

يقول الدكتور هيكل:

)بدأت أراجع تاريخ محمد، وأعيد النظر في سيرة ابن هشام وطبقات ابن سعد و مغازي الواقدي، وعدت إلى كتاب سيد أمير على (روح الإسلام)، ثم حرصت على أن أقرأ ما كتب بعض المستشرقين، فقرأت كتاب درمنجم وكتاب واشنطن إرفنج، ثم انتهزت فرصة وجودي بالأقصر في شتاء سنة 1932 وبدأت أكتب. ولقد تردّدت يومئذ في أن أجعل البحث الذي أطالع قرّائي به من وضعي أتى خيفة ما قد يقوم به أنصار الجمود، والمؤمنون بالخرافات من ضجة تفسد عليّ ما أريد، لكن ما لقيت من إقبال وتشجيع من طائفة شيوخ المعاهد، و ما أبدى لي بعضهم من ملاحظات تدلّ على العناية بالبحث الذي أقوم به، جعلني أفكر تفكيرا جدّيا في إنفاذ ما اعتزمت من كتابة حياة محمد على الطريقة العلمية الصحيحة كتابة مفصّلة، و دعاني إلى التفكير في أمثل الوسائل لتمحيص السيرة تمحيصا علميّا جهد ما أستطيع [7].(

إذن هذه هي حصيلة الدكتور هيكل في سيرة رسول الله ρ وعلوم الشريعة، فلم يدرس علوم الشريعة على يد أهل الاختصاص وإنما كانت مطالعاته لعلم السيرة النبوية سطحية ارتجالية.

وهذا هو الغالب على كُتّاب السيرة النبوية على طريقة المنهج الذاتي، فطه حسين مثلا متخصص بالآداب وكذلك محمد فريد وجدي وعباس العقاد.

إذن كان الاهتمام بالجوانب الشرعية عند كتاب السيرة النبوية الذين كتبوا على طريقة المنهج الذاتي سطحية وغيرَ عميقة وغير ممنهجة، وإنما كانت ارتجالية ذاتية شخصية لا تنبع من أُسس متينة وبناء في الصغر، كما كان عند علماء الأمة المصنفين في سيرة النبي .ρ

ويرجع ذلك إلى عدم اهتمام الدولة بعلوم الشريعة واستبدال المناهج العلمية الإسلامية بالمناهج الغربية منذ زمن محمد علي باشا، وعدم اهتمام الدولة بعلماء الشريعة الذين تخرجوا من الأزهر وتقليل أجور المدرسين منهم ورفع أجور المدرسين من غير علماء الأزهر[8]

يقول الأستاذ أنور الجندي عن العقاد وهيكل وطه حسين: (وكان الكتاب الثلاثة من المعروفين في مجال الدراسات الأدبية والسياسية بأنهم عصريون ليبراليون علمانيون، قليلو الاهتمام بالدراسات الإسلامية).[9]

المبحث الثاني: العلمانية والشيوعية ودورهما في تكوين المنهج الذاتي في كتابة السيرة النبوية.

كانت العلمانية والشيوعية في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين قد امتدت إلى مصر وبغداد وبعض البلاد الإسلامية عن طريق الاستعمار والبعثات الخارجية إلى الشرق والغرب، وقد دخلت العلمانية والشيوعية في الحياة العامة والخاصة في المجتمع الإسلامي.

---

[4] ينظر البوطي فقه السيرة ص27

[5] ترجمته العكري،عبد الحي بن أحمد بن محمد (ابن عماد الحنبلي) (ت1089هـ)، شذرات الذهب، تحقيق عبد القادر الأرنؤوط، محمود الأرناؤوط، دار بن كثير دمشق، 1406هـ .231 / 6 ابن حجر، الدرر الكامنة في اعيان المئة الثامنة،المحقق: مراقبة / محمد عبد المعيد ضان، مجلس دائرة المعارف العثمانية - صيدر اباد/ الهند، الطبعة: الثانية، 1392هـ/ 1972م .374 / 1 الحسيني،ابوالمحاسن محمد بن علي بن الحسن(ت765 هـ)، ذيل تذكرة الحفاظ،دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى 1419هـ -، ص58.

[6] السيوطي، ذيل طبقات الحفاظ للذهبي، دار الكتب العلمية، دراسة وتحقيق: الشيخ زكريا عميرات 238/1

[7] هيكل، محمد حسين (ت1956م)، حياة محمد، الهيئة المصرية العامة للكتاب 2005، ص37

[8] قطب، محمد(معاصر)، واقعنا المعاصر، الطبعة الأولى.232/1.

[9] ينظر أنور الجندي تقويم ما تقدمه الرواد ص2.

وأخطر ما وصلت إليه العلمانية والشيوعية الفكر الإسلامي، فبعد أن كان الفكر الإسلامي ينهل من معين الوحي الإلهي كتاب الله عزّ وجل، وسنة رسول الله ρ تلوث بفكر العلمانية وفكر الشيوعية التي جاءت ضد الفكر الإسلامي والوحي الرباني.

ومن خلال المناهج العلمانية التي دخلت في مناهج التعليم في مصر أدخلت الأفكار العلمانية وأثرت في الدارسين وفي طريقة تفكيرهم وكان من أولويات الفكر العلماني ومناهجه ما يلي:

1- أن يقطع الصلة بين الأزهر وبين الأمة، بحيث لا يبقى له هيبة ولا سلطان على الأمة.

2- فصل السياسة عن الدين بحيث ينظر إلى الدين كشيء والسياسية شيء آخر.

3- فصل الأمة عن مقوماتها الرئيسية كالوحي والمعجزات والغيبيات بحيث ينظر إلى الدين على أنه علم جاف.

4- قتل روح الجهاد ضد الصليبيين، وقمع كل فكر يدعو إلى المقاومة.

5- تعظيم الفكر الغربي والدعوة إلى اتباعه واعتباره المنقذ للأمم.

6- تشويه التاريخ والسيرة النبوية وإشاعة الدعوى التي مفادها أنّ الإسلام انتشر بالسيف.[10]

وقد استمرت علمنة المجتمع الإسلامي ما يقرب من قرن وبدأت بالدعوة إلى ترك الحجاب والسفور. يقول محمد قطب وهو يتحدث عن مراحل العلمنة للمجتمع الإسلامي:

(لقد استغرقت عملية الانتقال التدريجي ما يقرب من قرن من الزمان، ولكنها كانت عملية مستمرة، لا تتوقف، بل تتوسع على الدوام، على النحو الذي سنتحدث عنه في الفقرات التالية، متتبعين مراحل الانتقال في مجالات الحياة المختلفة، الاجتماعية والأخلاقية والفكرية والسياسية والاقتصادية.. وبالذات في قضية " تحرير المرأة)[11].

ولقد حققت العلمانية بقوة السلاح وعمالة بعض المسلمين ورغبتهم في التغيير أهدافها وما تريد ففصلت بين الأزهر والأمة وفصلت بين السياسة والدين وفصلت عند بعض المبهورين بالعلمانية بين الدين ومقوماته الرئيسية من وحي ومعجزات وغيبيات وشوه التاريخ الإسلامي وبدأت محاولات للطعن بالسيرة النبوية وتفسير أحداثها على طريق العلمانيين.

فوجدنا عند كثير من الكتاب المسلمين انبهاراً بمناهج الغرب في تفسير الأحداث ومناقشتها وخاصة في السيرة النبوية وأحاديث رسول الله ρ ومحاولة إيجاد أيّ ثغرة يدخلون من خلالها ‘إلى شرع الله عزّ وجل.

فتجد مثلا العقاد متأثرا ببعض المدارس الأوروبية التي تعظم الفرد والفردية وتفسير مختلف حوادث التاريخ على هذين الأساسين، وقد أورد العقاد ذكرا لإحدى هذه المدارس التي تحدد صفات العبقري انطلاقا من تكوينه الجسدي وهي مدرسة (لومبروزو).12

وعلى هذا الأساس ألف كتابه عبقرية محمد ρ ليؤكد صحة أفكاره في أولية الفرد في التاريخ وأحقيته كمحرك له وليطعن ويشوه الإيمان بالجانب الجماعي في الإسلام ويشكك في دور العقائد والتربية في توجيه الأشخاص، فالعظيم عظيم بفطرته والعبقري عبقري منذ نشأته، كذلك فقد ركز العقاد على العوامل الوراثية والتكوين الجسماني والعصبي، ووضع هذه الأسباب في المرتبة الأولى في توجيه الشخصية بحيث تأتي العقيدة الإسلامية والتربية في المرتبة الثانية إن كان هناك دور للعقيدة أو التربية في نظره13.

وهو في هذا قد حجب الجانب الرباني المعجز، وحجب الغيبيات في كل انتصارات النبي ρ وركز على عبقرية وطبيعته وحنكته العسكرية.

قال الأستاذ أنور الجندي:

) الأستاذ العقاد حارب مذهب التفسير المادي للتاريخ الذي قدمه ماركس والشيوعية حربا لا هوادة لها خضع مع الأسف للمذهب النفسي المادي الذي لا يعترف بالآثار المعنوية المترتبة على الإيمان والعقيدة في بناء الشخصية كما تجاهل جانب الغيبيات ولم يفهم النبوة فهما صحيحا، لذلك فإن الجانب الروحي القادر على العطاء في بناء الشخصيات والذي صنع شخصية رسول الإسلام تراه باهتا غائما عنده، وذلك لأنه اعتمد في دراسة الشخصيات والبطولات على مذاهب غربية تتجاهل النبوة والوحي والغيبيات والمعجزات، ولا تجعل هذه العوامل الروحية والمعنوية أي وزن وأي اعتبار وإنما قامت على جوانب الحس وتركيب الإنسان المادي والوراثيات وغيرها[14].(

وأما طه حسين فقد استقى فكرة كتابه على هامش السيرة من الكاتب الغربي الفرنسي "جيل لومتير" الذي ألف كتاباً على هامش الكتب القديمة يقول طه حسين: (ويتحتم أن نعترف بأن كتابين فرنسيين كانا بمثابة الشرارتين اللتين أشعلتا موقدين مختلفين، أحد الكتابين لجيل لومتير وعنوانه "على هامش الكتب القديمة"، والثاني "حياة محمد" لإميل درمنجم".)[15]

ويتحدث الأستاذ غازي التوبة عن كتاب طه حسين "على هامش السيرة" وأنه إنما قام بتأليفها على أساس إيجاد أسطورة للعرب كما لغيرهم أساطير حيث يقول:

---

[10] ينظر كتاب واقعنا المعاصر محمد قطب 230/1 وما بعدها

[11] المرجع السابق ص235

[12] ينظر أنور الجندي بحث حول كتابة السيرة في العصر الحديث وهو بمقدمة كتاب سبل الهدى والرشاد، في سيرة خير العباد 33/1

[13] ينظر المرجع السابق نفس الصفحة

[14] أنور الجندي بحث حول كتابة السيرة في العصر الحديث وهو بمقدمة كتاب سبل الهدى والرشاد، في سيرة خير العباد 33/1

[15] صلاح عطيه الإسلام والغرب مقالات لطه حسين، بدون طبعه أو مكان النشر ص20

(إن طه حسين ينصب نفسه إمامًا للأساطير اليونانية ويضع السيرة في مصاف الإلياذة ويطلب من المؤلفين والكتاب أن يفتتنوا في الحديث عنها افتتان أوروبا بأساطير اليونان، كي يرضوا ميول الناس إلى السذاجة، ويمتعوا عواطفهم وأخيلتهم. ولكن هل يتساوى الأثران في المجتمعين: " الإلياذة" في المجتمع اليوناني، والسيرة في المجتمع الإسلامي، وهل كانت السيرة يومًا ما في التاريخ موضوعًا لتسلية قصصية أو مباراة لفظية)[16]

لقد آثرت العلمانية في كتابة التاريخ الإسلامي والسيرة النبوية تأثيراً خطيراً على أكمل وجه على نحو ما أراد الساسة لها، وذلك من خلال من ينتمون إلى الإسلام، فشُوّه التاريخ وغيرت بعض حقائق السيرة النبوية، واقتنع جمع لا بأس بهم بأفكار هولاء الكُتَّاب منذ التأليف على هذه الطريقة إلى وقتنا الحاضر.

وما كانت الشيوعية بأقل تأثيراً من العلمانية في الفكر الإسلامي إذ أنها على مستوى العلمانية أو أكثر، فقد اقتنع كثير من أصحاب الفكر والرأي من المسلمين بأفكار الشيوعية ومبادئها لا بل ودعوا إلى الاقتناع بها ودافعوا عنها دفاع المستميت.

فمثلا الدكتور محمد حسين هيكل يدَّعي أنّ في الإسلام اشتراكية موجودة في القرآن الكريم ولكن لم يتسنَّ لأحد أن يبحث عنها ويكشف عن حقيقتها [17] ثم يطرح رأيه في هذا الموضوع ويكون من الذين ادعوا أن في القرآن اشتراكية وفي الإسلام كذلك ليلغي المصطلحات الإسلامية ويشوه نقاء تلك المصطلحات بهذه اللفظة وسأبين هذا الأمر في الفصل الرابع إن شاء الله.

أما في مجال تشبيه النبي ρ بالشخصيات الشيوعية والاشتراكية فكان واضحاً عند الأستاذ عبدالرحمن الشرقاوي[18]، الذي كان حقوقيا وأديباً صاحبَ فكر اشتراكي أو يساري مؤمن كل الإيمان أن الشيوعية هي المنقذة للشعوب، فحاول تطبيق هذه النظرة الاشتراكية على التاريخ والسيرة النبوية فألف كتاب (محمد رسول الحرية) فقد كان الشرقاوي يعشق فكر ماركس[19] محاولاً تشبيه النبي به.

حاول الشرقاوي أن يعزل الوحي عن شخصية رسول الله ρ و أنه بشر وأنّ كل إنجازات النبي ρ بشرية وقد أعلن في بداية كتابه تحت العنوان الرئيسي للكتاب قول الله تعالى: (إنما أنا بشر مثلكم) فصلت:5 وبذلك أراد أن يعزل شخصية النبي ρ عن الوحي ونرى النص الذي اختاره شعاراً لكتابه مقطوعاً عما قبله وما بعده، فما قبله هو قوله تعالى مخاطباً النبي صلى الله عليه وسلم بقوله "قل" وهو يصرح بخطاب الله تعالى للنبي ρ، وما بعده هو قوله تعالى "يوحى إليّ"، قد أبعده ولم يأت به لأنه لا يتفق مع غرضه الذي يهدف إليه لأنه يريد نفي الوحي عن الحياة المحمدية.[20]

وادعى أنّ جبريل عليه السلام جاء النبي ρ وهو في المنام ليس في اليقظة فيقول: (ولكن في تلك الليلة من رمضان، أغفى قليلاً ثم نام، فرأى من يعرض عليه كتاباً ويطلب منه أن يقرأ، فقال ما أنا بقارئ، ولكنه ألح عليه أن يقرأ، فسأله ماذا أقرأ فقال له: (اقرأ باسم ربك الذي خلق، خلق الإنسان من علق، اقرأ وربك الأكرم، الذي علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم): وعندما استيقظ من نومه يحفظ ما سمعه من النوم ويستوضح حلمه فيما بينه وبين نفسه، فإذا به وهو بين اليقظة والنوم كأنه يسمع صوتاً بعيداً يقول له: أنت رسول الله وأنا جبريل؟)[21]

وهو يشير إلى أنّ النبي ρهو الذي قال لأبي لهب تبت يداك وكذلك قال لزوجة أبي لهب في جيدها حبل من مسد ولا يذكر أنّ النبي عليه الصلاة والسلام نقل ذلك عن الله عزّ وجل وحين ذكر، قصة الفداء في بدر أشار إلى أنّ النبي - ρ- هو نفسه أدرك أنه أخطأ في الفداء يقول الشرقاوي :

(إن النبي ρ بعد تأمل وتدبر قرر خطأ الفداء، وهذا نص كلامه فقد أطلق كثيراً من الأسرى ولم يعد –أي لم يبق- غير القليل، فانقطع يفكر وخرج على أصحابه يقول: إنه أخطأ هو وأبو بكر حين لم يسمعا لنصيحة عمر، فما كان له أن يترك لقريش أسراها لتستعين بهم على حربه مرة أخرى)[22]

إذا يجعل كل أمر جاء من عند الله عزّ وجل بفعل شيء أو الامتناع عنه موجها لرسول الله من فكر رسول الله لا تدخلاً للإرادة الالهية و لا تدخل للقرآن به، وهو ما صرح به في قصة التبني وغيرها مما يحتاج إلى بسط في بحث خاص.

وأخطر ما كتبه أنّ النبي ρ هو الذي وضع القرآن الكريم يقول(لقد ذكر أن النبي ρ أذن لبعض الناس بالعودة من حيث خرجوا، وكان ذلك في بعض الغزوات، ثم يقول: فأذن لمن يريد أن يعود إلى بيته أن يعود، فهذا خير من أن يبقى في الصفوف ليشيع الانهزام، ويثبت في الصفوف من يجد في نفسه القدرة على مواجهة الخطر، والرغبة الصادقة في الاستشهاد دفاعاً عما يؤمن به، وهمهم لنفسه وهو يتقدم الصفوف: (عفا الله عنك لم أذنت لهم) ولكنه عاد فرأى الخير في تخليص صفوفه من العناصر الخائرة ثم أخذ يتلو عليهم: (وإذ قالت طائفة منهم يا أهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا، ويستأذن فريق منهم النبي يقولون إن بيوتنا عورة وما هي بعورة إن يريدون إلا فراراً... قل لن ينفعكم الفرار إن فررتم من الموت أو القتل وإذاً لا تمتعون إلا قليلاً)[23]، ولفق الكثير من الأحداث التي لم تكن موجودة في سيرة رسول الله - -ρمثل ادعائه أن النبي ρ سافر إلى اليمن وأنه كان كثير الرحلة إلى فارس والروم وكان على اتصال بينه وبين كبار الروم والفرس وغيرها الكثير الكثير.

أراد الأستاذ الشرقاوي أن يفرض ايمانه بالشيوعية أو ما يسمى باليسارية ويطبقها على سيرة النبي ρ ويجعله كماركس في إنجازاته وفكره ويجعله واضعا للإسلام في كل جوانبه وينفي توجيهات الله عزوجل لنبيه ليصل إلى أنّ النبي- ρ- حرر العرب مما كانوا فيه وهذا معنى عنوان كتابه محمد رسول الحرية.

---

[16] غازي التوبة محاكمة فكر طه حسين، دار الاعتصام للطباعة والنشر والتوزيع ص189

[17] ينظر محمد حسين هيكل حياة محمد 541 وما بعدها

[18]) شاعر، روائي، كاتب مسرحي، مفكر ولد في قرية الدلاتون في دلتا مصر عام 1339هـ1920 وأتم دراسته للحقوق في جامعة فؤاد الأول. وتولى بعد قيام ثورة يوليو عدداً من المناصب والمراكز القيادية في مجالات الثقافة والنشر.توفي 1987) الخراشي، سليمان بن صالح (معاصر)، نظرات شرعية في فكر منحرف، المجموعة الخامسة.5 ص2

[19] فيلسوف ألماني، واقتصادي، وعالم اجتماع، ومؤرخ، وصحفي واشتراكي ثوري (5 مايو 1818م - 14 مارس 1883م). لعبت أفكاره دور هام في تأسيس علم الاجتماع وفي تطوير الحركات الاشتراكية. واعتبر كارل أحد أعظم الاقتصاديين في التاريخ.[4][5][6][7] نشر العديد من الكتب خلال حياته، أهمُها بيان الحزب الشيوعي (1848)، و رأس المال (1867–1894).ويبكيديا الموسوعة الحرة

[20] ينظر سليمان بن صالح الخراشي نظرات شرعية في فكر منحرف ص11

[21] عبدالرحمن الشرقاوي محمد رسول الحرية ص64 دار الشروق ط2

[22] المرجع السابق ص181

[23] المرجع السابق 240

المبحث الثالث: دور الاستشراق والمستشرقين في نشوء المنهج الذاتي في كتابة السيرة النبوية.

اهتم المستشرقون بالشريعة الإسلامية بكل جوانبها من قرآن وسنة وبكل ما يتصل بهما من علوم، وذلك ليتوصوا إلى أي مدخل ليطعنوا بهذا الدين ويشوهوا محاسنه ويطمسوا حقائقه، وكذلك كان اهتمامهم بالسيرة النبوية والتاريخ الإسلامي لتغيير الصحيح من أحداثه وتفسيرها برؤية استشراقية.[24]

وقد تعددت المدارس الاستشراقية منذ بدايتها فبدأت بالمدرسة النصرانية بشقيها الكاثوليكية والبروتستانتية وكلاهما يلتقيان بالأعمال والأهداف وإن اختلفتا ببعض الجزئيات، ومدرسة الاستشراق اليهودي التي لا تريد إلاّ خدمة اليهودية العالمية وقد كانت وما زالت تظهر بأسماء وأقنعة بحسب الموقف.[25]

كانت أكثر المدارس الاستشراقية دراسة للسيرة النبوية المدرسة النصرانية وذلك أنها كانت حاقدة على الإسلام ونبي الإسلام ρ مدفوعة بدافع الانتصار للنصرانية، والرغبة بتنصير المسلمين الذين اكتسحوا إمبراطوريتهم واستطاع دينهم الحق أن يغلب النصرانية المحرفة في نفوس أتباعها.

ثم اشتدت حاجتهم إلى هذا الهجوم في العصر الحاضر، بعد أن رأوا الحضارة الحديثة قد زعزعت أسس العقيدة النصرانية عند الغربيين، وأخذت تشككهم بكل التعاليم التي كانوا يتلقونها عن رجال الدين ، فلم يجدوا وسيلة أجدى من تشديد الهجوم على الإسلام لصرف أنظار الغربيين عن نقد ما عندهم من عقيدة وكتب مقدسة محرفة، وهم يعلمون ما تركته الفتوحات الإسلامية الأولى، ثم الفتوحات الإسلامية العثمانية في أوروبا بعد ذلك في نفوس الغربيين من خوف شديد من قوة الإسلام، ومن كره لأهله، فاستغلوا هذا الجو النفسي، وازدادوا نشاطاً في الدراسات الإسلامية.[26]

ومدارس الاستشراق يندر أن تجد بها منصفا يتحلى بالموضوعية في الطرح فقد يكون منصفا في جزئية دون أخرى أما الموضوعية الكاملة فتخلوا المدارس الاستشراقية منها، وأما الذين تعرضوا لشخص النبي - ρ- وسيرته العطرة من المستشرقين فكانوا كثراً يصعب حصرهم وعرض أفكارهم، وسأذكر ما كان لهم من تأثير في كتابة السيرة النبوية على طريقة المنهج الذاتي،فان واضعي هذا المنهج هم من المستشرقين واستفاد الكتاب العرب من منهجهم في كتابة السيرة النبوية.

وكتاب العرب الذين كتبوا السيرة النبوية على طريقة المنهج الذاتي لم يتأثروا بالمستشرقين الذين طعنوا بالنبي - ρ- وشتموه مباشرة وإنما تأثروا بالمستشرقين الذين عرضوا لسيرة رسول الله- ρ- بشيء من الإنصاف في بعض جوانب دراستهم لسيرته العطرة.

وقد تبين للباحثين أن هناك فرقاً بين المستشرقين في العصور الوسطى الذين كتبوا في سيرة رسول الله- ρ- وبين المستشرقين في العصر الحديث إذ أنّ الاستشراق في العصور الوسطى كان يتميز بالقدح المباشر بشخصية الرسول عليه الصلاة والسلام وتشويهه في نفوس القراء، أما الاستشراق في العصر الحديث فتميز بالطعن غير المباشر بشخصية رسول الله مثل محاولة إنكار نبوته وإنكار الوحي ونعت النبي صلى الله ععليع وسلم بالعبقري والبطل ليتجرأ الناس على شخصه.[27]

فتجد أنّ محمد حسين هيكل افتتن بمنهج درمنجم الانصافي حسب وجهة نظر هيكل في دراسة سيرة رسول الله - ρ- وذكر هيكل المواضع التي كان منجم منصفا ولم يتعرض إلى ما لم يكن فيه منصفا وإنما تبنى بعض أفكاره التي طعن فيها وحرف وبدل في سيرة رسول اللهρ - - دون الإشارة إلى اسمه وهذا ما سنعرضه في الفصل الثالث إن شاء الله.[28]

وعلى طريقة إميل درمنجم والسير وليم موير[29] في عنونة اسم كتابهما "حياة محمد" ألف محمد حسين هيكل كتابه حياة محمد ليكون على شاكلتهما في الطرح والموضوعات ، وقد صرح أنه يريد أن يؤلف هذا الكتاب على الطريقة العلمية الحديثة الغربية التي هي منهج درمنجم والسير موير.

وتأثر هيكل بالمستشرق البلجيكي الأب لامنس [30] الذي كان متحاملا على الإسلام ونبيه ρ -- في كتبه حول السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي،فتحامل لامنس على السيرة النبوية واضحا ويتمثل ذلك في زعمه أن القرآن وحده هو المصدر الذي يعتمد عليه في بيان سيرة النبي، وأن كتب الحديث كلها موضوعة ولا يوثق بها ولا يعتمد عليها في نقل سيرة النبي صلوات الله وسلامه عليه منها.[31]

وهذا ما صرح به واعتمده الدكتور هيكل أنّ القرآن الكريم أصدق مرجع في سيرة رسول الله- ρ-،32 وأنّ الأحاديث النبوية فيها اختلاف شديد وتناقض لأحداث السيرة النبوية مما يجعلها موضع شك في أحداث السيرة النبوية33.

---

[24] الميداني، عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة (ت1425هـ)، أجنحة المكر الثلاثي التبشير - الاستِشراق - الاستعمار، دراسة وتحليل وتوجيه، دار القلم – دمشق الطبعة: الثامنة، 1420 هـ - 2000 م. ص108وما بعدها

[25] المرجع السابق ص 108

[26] المرجع السابق ص 110 وينظر النعيم، وعبدالله محمد الأمين (معاصر)، الاستشراق في السيرة النبوية، المعهد العالي للفكر الإسلامي، الطبعة الأولى 1997. ص32

[27] الجبري، عبدالمتعال الصعيدي (معاصر)، السيرة النبوية واوهام المستشرقين، مكتبة وهبة – القاهرة، ص9

[28] ينظر محمد حسين هيكل حياة محمد ص30

[29] 1819 – نيبال 11 يوليو 1905) مستشرق اسكتلندي ولد في جلاسجو، قام بعمل دراسات حول حياة النبي عليه الصلاة والسلام الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس(المتوفى: 1396هـ)، الأعلام، دار العلم للملايين بيروت، الطبعة: الخامسة عشر - أيار / مايو 2002 م.8/124

[30] هنري لامنس اليسوعي: H Lammens مستشرق، بلجيكي المولد، فرنسي الجنسية، من علماء الرهبان اليسوعيين.1862 – 1937 الزركلي الأعلام 99/8

[31] البياتي، صباح علي البياتي، الصحوة، مكتبة مدرسة الفقاهة، ص324

[32] ينظر محمد حسين هيكل حياة محمد ص37

[33] المرجع السابق ص79

وأما القصة التي أوردها ابن هشام بخصوص أنّ النبي- ρ- نزل عليه الوحي وهو نائم [34] فقد اعتمد عليها المستشرق كزيميرسكي وجعلها أساس الوحي كله [35] ليتوصل إلى أنّ الوحي إنما هو منامات تبدت للنبي ρفأولها وزاد عليها بحسب الوقائع والحاجات فاستغلها ليضع هذا الدين ،ولم يكن الوحي ظاهرة حقيقة تأتي إلى النبي عليه الصلاة والسلام في اليقظة تخبره بأوامر الله ونواهيه وشرعه.

وقد اعتمد الدكتور محمد حسين هيكل[36] على هذه الرواية المنقطعة السند وتأثر بالمستشرقين في اعتماد هذه الرواية مع أن البخاري رحمه الله تعالى اخرج رواية نزول الوحي على النبي -عليه الصلاة والسلام - في اليقظة وقد أشرت إلى هذا الموضوع في الفصل الأول.

لقد مدح كثير من المستشرقين النبي ρومع مدحهم له كانوا يضعون السم في الدسم وينسبون هذا الدين له ومن أعماله وأفكاره يقول المستشرق الفرنسي إميل درمنجم(إن محمداً قد أباح الرق، ولكنه نظمه، وضيق حدوده، وجعل العتق عملاً خيراً، بل كفارة عن بعض المعاصي)[37].

جعل هذا المستشرق الذي أثنى على رسول الله - ρ- في أكثر من موضع من كتابه" حياة محمد" موضوع إباحة الرق من فعل رسول الله - ρ- ومن تنظيمه وفكره وقيده.

وقال أيضا :(إن الغنائم الحربية كانت في ذلك العهد، النتيجة العادية لكل جهاد، بل يمكن أن يقال: إنها كانت مع التجارة وتربية الحيوان هي الصناعة الوطنية العربية، فأعلن محمد رسول الإسلام إباحتها لأتباعه استجابة لضعفهم، ولكنه حددها بقواعد دقيقة، فخصص الجزء الأكبر منها للصدقات ولحاجات الجيش كما أنه قد حظر في قسم الأسرى إبعاد الأطفال عن أمهاتهم)38 .

وهنا تحدث عن الغنائم وأنّ الذي أباحها هو النبي-عليه الصلاة والسلام- وهو الذي حددها وجعل لها القواعد الدقيقة وقسمها تقسيما دقيقا، ولم يتحدث عن القرآن الكريم ولا عن أنّ هذا هو كلام الله عزّ وجل وهذا تنظيمه وحكمه سبحانه وتعالى وإنما هو من فكر رسول الله- .-ρ

وهذا الأسلوب تأثر به أصحاب المنهج الذاتي مثل عبدالرحمن الشرقاوي صاحب كتاب" محمد رسول الحرية " ذلك أنه أقصى عنصر الوحي من حياة النبي - ρ- وجعله يتصرف من عنده كما يتصرف سائر البشر، وليس نبيا أوحى إليه.

يقول أنور الجندي بشأن صاحب كتاب" محمد رسول الحرية "(ويرى الكاتب أن القرآن من كلام محمد ولم يذكر قط على وجه التصريح أن الله تبارك وتعالى هو منزل القرآن وباعث محمد بالرسالة بل إن ذكر الله تبارك وتعالى يندر في الكتاب بل لا تجد له ذكرا قط ولم يذكر القرآن إلا نادرا بل لا تكاد تجد)[39]

فهذه آثار التأثر بالمستشرقين وفكرهم وهو إنكار أن يكون القران من كلام الله عزّ وجل عند بعض أصحاب هذه المدرسة مثل العقاد والشرقاوي، وأنّ القرآن الكريم هو من صنع رسول الله- ρ- وهو الذي ادعى أنه رسول من عند الله وذلك يرجع إلى عبقريته وخبرته وقوة شخصيته.

ومثل هذا أو قريبا منه فعل الأستاذ العقاد حين أشار إلى عبقرية رسول الله - ρ- في الانتصار في بدر وما قدمه من حنكة عسكرية [40] بعيدا عن وحي الله وإمداده له بالملائكة وغيرها.

ويمكن إجمال شبهات المستشرقين التي أثاروها حول السيرة النبوية وشخصية دمة

النبي صلى الله عليه وسلم فيما يأتي:

1- اعتماد رواية أن الوحي نزل على رسول الله ρفي غار حراء وهو نائم.

2- إنكار المعجزات والغيبيات وتفريغ السيرة النبوية من وجودها وذلك لأن الأحاديث الواردة موضوعة أو مختلفة.

3- إثبات أن النبي - ρ- كان يتصرف بمعزل عن الوحي في إدارة الدولة والمعارك وغيرها وذلك ليتوصلوا إلى أنه واضع القرآن.

4- اختلاق القصص الكاذبة والأساطير في السيرة النبوية لإقناع المجتمع الغربي بضعف قواعد الإسلام.

5- التركيز على القضايا التي في ظاهرها انتهاك حرية الإنسان من زواج الفتيات في سن مبكرة أو قتل أو تعدد الزوجات.

6- الاهتمام بالروايات التي تدل على أنّ مصادر الإسلام من الدين المسيحي أو النصراني أو غيرها.

7- التركيز على جعل القرآن هو المرجع الصادق الوحيد في سيرة رسول الله - ρ -، وأنّ الأحاديث الواردة بسيرته عليه الصلاة والسلام موضوعة أو ضعيفة أو مختلفة ليتوصلوا إلى إنكار السنة النبوية.

الخاتمة

1- من أسباب ظهور المدرسة الذاتية الضعف في البناء الديني لأعلام هذه المدرسة، فلا يوجد من أعلام هذه المدرسة متخصص في أي مجال من المجالات الشرعية.

2- كان لانتشار العلمانية والشيوعية الدور المهم في انتشار المدرسة الذاتية وخاصة في مصر، فقد انتشرت المدارس العلمانية في كل محافظة والتي كانت تدعو إلى تقويض دعائم الدين، والفصل بين الدين والسياسة، وجعل كل مقررات الدين خاضعة للبحث العلمي.

3- ومن أسباب ظهور المدرسة الذاتية قوة حركة الاستشراق والتبشير في المجتمع الإسلامي، وانتشار كتبهم مدعوماً بالمال ومباركة السلطة تحت شعار حرية الأديان وحوارها، فتجد أن كثيرا مما عند هذه المدرسة مأخوذ من المستشرقين.

---

[34] جاء بيانها وتخريجها في أطروحتي للدكتوراة "حياة محمد" دراسة نقدية من منظور كتابات المحدثين للسيرة النبوية، أطروحة دكتوراة، جامعة اليرموك، 2014.

[35] ينظر عبدالمتعال الجبري السيرة النبوية وأوهام المستشرقين ص79

[36] ينظر محمد حسين هيكل حياة محمد ص174

[37] الخطيب، محمد حسام الدين (معاصر)، هل كان محمد ρ رحيما، رابطة العالم الاسلامي. ص105

[38] منجم، إميل در (معاصر)، حياة محمد،المحقق والمقدم زعيتر عادل مؤلف، الناشر: المؤسسة العربية للدراسات بيروت، 1988.ص320

[39] أنور الجندي بحث قدم في مؤتمر السيرة النبوية وهو بهامش كتاب سبل الهدى والرشاد بسيرة خير العباد ج1 ص34

[40] العقاد، عباس محمود (ت1964م)، موسوعة عباس العقاد الاسلامية، عبقرية محمد، دار الكتاب العربي – بيروت،الطبعة الاولى 1971. ص50

4- اتضح أن هذه المدرسة تدعي أنها تؤمن بالقران الكريم كمصدر وحيد للشرائع الإسلامية، فمن وراء الأستار أنكروا السنة النبوية والأحاديث الشريفة، مدعين أنها وردت بطرق الآحاد، وأن كثير منها متناقض ومختلف، ولم يعرض على القران الكريم، ومنها ما يتعارض مع العقل والحس والمنطق.

5- اعتمد محمد حسين هيكل في كتابه على بعض أقوال المستشرقين أمثال درمنجم وموير وغيرهما، وأنكر في بعض المواضع عليهما، ولكن كان يقول بكثير مما يقول به المستشرقون من الأفكار المغرضة والأقوال المعادية لهذا الدين.

التوصيات:

1- تناولت في رسالتي الموسومة "كتاب حياة محمد" لمحمد حسين هيكل: دراسة نقدية من منظور كتابات المحدثين في السيرة النبوية سبر رموز هذه المدرسة وكتبها وأفكارها والرد عليها ومصادرها، وما زال المجال مفتوحاً للباحثين من إعادة قراءة منهج هذه المدرسة عقدياً وتاريخياً وتأصيلياً مما يعزز في الكشف عن أفكار هذه المدرسة وتوجهاتهم المنحرفة والرد عليهم والتحذير منهم.

المصادر والمراجع:

[١] أنور الجندي، بحث حول كتابة السيرة في العصر الحديث، ضمن مقدمة كتاب سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد.

[٢] أنور الجندي، بحث قدم في مؤتمر السيرة النبوية، بهامش كتاب سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد.

[٣] أنور الجندي، تقديم ما قدمه الرواد، وقراءة جديدة لكتابات الشوامخ، دار الاعتصام، 1989م.

[٤] ابن حجر، الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة، تحقيق محمد عبد المعيد ضان، مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الهند، الطبعة الثانية، 1392هـ/1972م.

[٥] البوطي، محمد سعيد رمضان، فقه السيرة، دار الفكر، دمشق، الطبعة الخامسة والعشرون، 1426هـ.

[٦] البياتي، صباح علي البياتي، الصحوة، مكتبة مدرسة الفقاهة.

[٧] الجبري، عبد المتعال الصعيدي (معاصر)، السيرة النبوية وأوهام المستشرقين، مكتبة وهبة، القاهرة.

[٨] الحسيني، أبو المحاسن محمد بن علي بن الحسن (ت765هـ)، ذيل تذكرة الحفاظ، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، 1419هـ.

[٩] حياة محمد، دراسة نقدية من منظور كتابات المحدثين للسيرة النبوية، أطروحة دكتوراه، جامعة اليرموك، 2014م.

[١٠] الخراشي، سليمان بن صالح (معاصر)، نظرات شرعية في فكر منحرف، المجموعة الخامسة.

[١١] الخطيب، محمد حسام الدين (معاصر)، هل كان محمد ﷺ رحيما؟، رابطة العالم الإسلامي.

[١٢] الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس (ت1396هـ)، الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الخامسة عشرة، أيار/مايو 2002م، 99/8.

[١٣] الساموك، سعدون محمود (معاصر)، السيرة النبوية، دار وائل، عمان، 2004م.

[١٤] السيوطي، ذيل طبقات الحفاظ للذهبي، دراسة وتحقيق الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلمية.

[١٥] الشرقاوي، عبد الرحمن، محمد رسول الحرية، دار الشروق، الطبعة الثانية.

[١٦] صلاح عطية، الإسلام والغرب: مقالات لطه حسين، دون طبعة أو مكان نشر.

[١٧] العقاد، عباس محمود (ت1964م)، موسوعة عباس العقاد الإسلامية: عبقرية محمد، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، 1971م.

[١٨] العكري، عبد الحي بن أحمد بن محمد (ابن عماد الحنبلي) (ت1089هـ)، شذرات الذهب، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط ومحمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق، 1406هـ.

[١٩] غازي التوبة، محاكمة فكر طه حسين، دار الاعتصام للطباعة والنشر والتوزيع.

[٢٠] قطب، محمد (معاصر)، واقعنا المعاصر، الطبعة الأولى.

[٢١] منجم، إميل در (معاصر)، حياة محمد، تحقيق وتقديم عادل زعيتر، المؤسسة العربية للدراسات، بيروت، 1988م.

[٢٢] الميداني، عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة (ت1425هـ)، أجنحة المكر الثلاثي: التبشير – الاستشراق – الاستعمار، دراسة وتحليل وتوجيه، دار القلم، دمشق، الطبعة الثامنة، 1420هـ/2000م.

[٢٣] النعيم، عبد الله محمد الأمين (معاصر)، الاستشراق في السيرة النبوية، المعهد العالي للفكر الإسلامي، الطبعة الأولى، 1997م.

[٢٤] هيكل، محمد حسين (ت1956م)، حياة محمد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2005م.